

اللاجئون السوريون في لبنان: معاناة بلا نهاية وظلال نظام لا ترحم

على مدار أكثر من عقد من الزمن، شكّل لبنان ملاذًا مؤقتًا لمئات الآلاف من السوريين الذين فروا من أهوال الحرب في وطنهم. ومع ذلك، سرعان ما تحول هذا الملاذ إلى كابوس مليء بالمعاناة والإهانة، ليجد اللاجئ السوري نفسه في مواجهة أزمات متشابكة من العنصرية، الفقر المدقع، والإهمال، وحتى التعذيب.

عنصرية قاتلة وأزمة إنسانية متفاقمة

في الشوارع اللبنانية، بات اللاجئ السوري يواجه يوميًا موجات من العنصرية، سواء كانت في تصريحات علنية من مسؤولين أو في تعاملات الناس اليومية. يُعامل اللاجئ كأنه عبء على المجتمع، ويتعرض للإذلال بشكل منهجي في أماكن العمل والمدارس وحتى المستشفيات. يتكرر مشهد اللاجئ الذي يُحرم من فرصة عمل لأنه "سوري"، أو يطرد من منزله لعدم قدرته على دفع الإيجار، في ظل أزمة اقتصادية خانقة لم يسلم منها أحد، لكنها تثقل كاهل اللاجئين بشكل خاص.

الفقر والإهمال: حياة بلا كرامة

اللاجئون يعيشون في ظروف مزرية، سواء في المخيمات التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة، أو في المدن حيث يواجهون استغلالًا اقتصاديًا بشعًا. منازلهم هي خيام مهترئة تغمرها مياه الأمطار شتاءً وتشتعل حرارة صيفًا، ومعظمهم لا يستطيعون الوصول إلى الرعاية الصحية أو التعليم. تعجز المنظمات الإنسانية عن سد احتياجاتهم بالكامل بسبب قلة التمويل والضغط السياسية.

التعذيب والتجاوزات: مأساة صامتة

في بعض الحالات، لا تقتصر المعاناة على العنصرية والفقر فقط، بل تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك. تقارير حقوقية وثقت حالات من الاعتقال التعسفي والتعذيب الذي تعرض له بعض اللاجئين، سواء من قبل جهات أمنية لبنانية أو من قبل شبكات تهريب تستغل ضعفهم. يُتهم اللاجئون ظلماً بتهديد الأمن القومي، وكأن مأساتهم ليست كافية لتجعلهم في دائرة الاتهام المستمر.

دور النظام السوري: يد في الظل

وسط كل هذا، لا يمكن إغفال دور النظام السوري في تأجيج هذه المعاناة. النظام، الذي هجر هؤلاء اللاجئين من وطنهم، لا يزال يتلاعب بمصيرهم. من خلال ضغوط دبلوماسية وإعلامية، يحاول تصوير اللاجئين كمصدر تهديد للبلدان المضيفة، مما يعزز المشاعر المعادية لهم. كما يستغل النظام وضع اللاجئين ليظهر أمام المجتمع الدولي كمنقذ، داعيًا إلى إعادتهم إلى مناطق يسيطر عليها، في خطوة تهدف إلى ترسيخ سلطته بدلًا من تأمين حياة كريمة لهم.

الأمل المفقود

بين العنصرية التي تواجههم يوميًا، والفقر الذي يحاصرهم من كل جانب، والإهمال الدولي والمحلي، يعيش اللاجئون السوريون في لبنان واقعًا يفتقر إلى أدنى مقومات الإنسانية. ومع غياب حلول حقيقية وجذرية، تتفاقم المأساة يومًا بعد يوم، ويبقى اللاجئون عالقين بين وطن دمرته الحرب وبلد مضيف يعجز عن احتوائهم.

ما يحتاجه اللاجئون ليس فقط مساعدات إنسانية، بل مقاربة إنسانية حقيقية تعيد لهم كرامتهم وتحميهم من الاستغلال والاضطهاد. وفي الوقت الذي يغيب فيه هذا الحل، تستمر المعاناة كوصمة عار على جبين المجتمع الدولي.